م.د. تساهيل باقر كامل جبر
وزارة التربية / مديرية تربية بابل

الأثر الثقافي للاحتلال البريطاني على المجتمع العراقي (1917-1932): دراسة للعلاقات الثقافية والتحولات الفكرية.

The Cultural Impact of the British Occupation on Iraqi Society (1917-1932): A Study of Cultural Relations and Intellectual Transformations.

الملخص.
لم تعط حكومة الاحتلال البريطاني اهتماماً بتطور الحياة الثقافية والفكرية في العراق، إذ تركت حالة الثقافة في العراق تسير على قدم عرجاء، مفضلاً تحقيق المصالح السياسية والاقتصادية على مصالح شعب أنهكته الحروب والمعارك والاحتلال دون تحقيق ما يصبو إليه من حقوق انسانية على مستوى الطموح، وفي مقدمتها حقه المشروع في التقدم الثقافي والفكري، أما في عهد الملك فيصل الأول فعلى الرغم من حرصه على التطور الثقافي والفكري للعراق بروح عالية، إلا أن ذلك لم يبلغ مستوى الطموح لتحقيق التطور الثقافي والفكري في العراق، ولعل ذلك يعود لعدة أسباب منها ما يلي:-

1. التدخل البريطاني في شؤون الدولة العراقية الحديثة، المتمثل بالمستشارين والموظفين البريطانيين ممن لهم اتخاذ القرار.
2. استغلال ميزانية المعارف وصرف أموالها في غير موقعها من قبل المستشارين والموظفين البريطانيين، في دعم المدارس التبشيرية والأديرة والكنائس.

الكلمات المفتاحية: (الاحتلال البريطاني، الثقافية، الفكرية، المجتمع العراقي).

Abstract.
The British occupation government did not pay attention to the development of cultural and intellectual life in Iraq, as it left the state of culture in Iraq to go on a limp, preferring to achieve political and economic interests over the interests of a people exhausted by wars, battles and occupation without achieving the human rights they aspire to at the level of ambition, most notably their legitimate right to cultural and intellectual progress. As for the reign of King Faisal I, despite his keenness on the cultural and intellectual development of Iraq with a high spirit, this did not reach the level of ambition to achieve cultural and intellectual development in Iraq, and this may be due to several reasons, including the following: -

1. British interference in the affairs of the modern Iraqi state, represented by British advisors and employees who have the power to make decisions.
2. Exploitation of the education budget and spending its funds in the wrong place by British advisors and employees, in supporting missionary schools, monasteries and churches.

(Keywords: (British occupation, cultural, intellectual, Iraqi society).

المقدمة.

كان العراق منذ القدم محط اهتمام دول العالم، نظراً لأهمية موقعها الجغرافي، وحضارة وتاريخ ضارب في القدم، وكان العراق أحد التي الدول التي كان نابليون يسعى أن يقيم فيها مركزاً لقيادته في طريقه لاحتلال الهند، ولعل البريطانيون كانوا مدركين لهذه الحقيقة، لذا ازداد اهتمامهم بأهمية العراق الاستراتيجية، وموقعها الجغرافي، فضلاً عن مركز العراقي السوقي الذي يربطة بإيران والخليج، ويجعله طريقاً مختصراً وسريعاً تأتي منه المواد الأولية، وتعود الصناعات البريطانية من خلاله ثانية إلى أسوق الشرق، لذا دخلت العراق ضمن اهتمام الحكومة البريطانية، وكانت الحرب العالمية الأولى فرصة سائحة لكي تحقق بريطانيا أطماعها في العراق، وبالفعل دخلت القوات البريطانية بغداد في الحادي عشر من آذار 1917، وكان سياسة بريطانيا في العراق تهدف في البقاء مدة طويلة، على وفق ذلك وضمنت قوانينها وإجراءتها الإدارية على ما ينفذ سياستها، لذلك اخترنا في هذه الدراسة أن نسلط الضوء على الأثر الثقافي للاحتلال البريطاني على المجتمع العراقي (1917-1932): دراسة للعلاقات الثقافية والتحولات الفكرية.

وتكمن أهمية دراسة الأثر الثقافي للاحتلال البريطاني على المجتمع العراقي (1917-1932): دراسة للعلاقات الثقافية والتحولات الفكرية، لأهمية التطور الثقافي والفكري لدى المجتمعات، بإعتباره الركيزة الأساسية في صنع الإنسان المتحضر،

الأثر الثقافي للاحتلال البريطاني على المجتمع العراقي (1917–1932): دراسة للعلاقات الثقافية والتحولات الفكرية.

م.د. تساهيل باقر كامل جبر

لذلك سعى المجتمع العراقي إلى التطور الثقافي والفكري ومواكبة العصر، وخلق أجيالاً متنورة وفعالة وواعية، يعتمد عليها المجتمع ككل.
احتوى البحث على مقدمة وتمهيد وست محاور وخاتمة، تناول المحور الأول أثر التعليم في التطور الثقافي والفكري في العراق (1920-1932)، ودرس المحور الثاني تأسيس المكتبات العلمية والثقافية في العراق، وتطرق المحور الثالث إلى تطور الصحافة، وناقش المحور الرابع المجالس العلمية والثقافية والأدبية، وتناول المحور الخامس الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية، وناقش المحور السادس التطور الصحي.

اعتمد البحث بشكل كبير على العديد من المصادر والتي يأتي في مقدمتها تقرير دائرة المعارف البريطانية الصادر سنة 1918، والمركز الوطني للوثائق، وثائق البلاط الملكي، كما احتوت الصحف العراقية على الكثير من المادة العلمية التي سهلت موضوع البحث، وخصوصاً مجلة التربية والعلم، ومجلة العرفان ، كما اعتمد الباحث على مجموعة من الكتب أهمها: كتاب تاريخ التربية والتعليم في العراق وأثره في الجانب السياسي 1534-2011، لأحمد جودة، نورس بغداد للطباغة، بغداد، 2012م، وكتاب تاريخ التعليم في العراق في عهد الاحتلال البريطاني (1914-1921)، لعبد الرازق الهلالي، مطبعة المعارف، بغداد، 1975م، وأيضاً كتاب انستاس ماري الكرملي حياته ومؤلفاته (1866-1947)، لكوركيس عواد، مطبعة الرابطة، بغداد، 1966م، بالإضافة إلى كتاب ازدهار العراق تحت الحكم الملكي (1921-1958): دراسة تاريخية، سياسية، اجتماعية مقارنة، لمأمون أمين زكي، دار الحكمة، لندن، ط1، 2011م، وغيرها من الوثائق والمصادر التي سيتم الإشارة إليها في ثنايا البحث.

تمهيد:
اتسمت الإدارة البريطانية في العراق (1914-1920)لا بالسمة العسكرية، لذا واجهت السلطات البريطانية مشاكل وصاعب في الاهتمام بالأوضاع الثقافية، ولهذا فقد طرحت عدة آراء واقتراحات من قبل (معتمد الواردات) هنري دوبس(Sir Henry Dubbs)( )، موجهة إلى مجلس اللوردات، جاءت على شكل مذكرات وتقارير مرسلة إلى وزير المستعمرات البريطانية في الهند، تخص الأوضاع الثقافية والتعليم في العراق، وكانت أول مذكرة رفعها دوبس في 15 شباط 1915( ).

ونتيجة حصول نقص حاد في المعلمين للمدارس الإبتدائية، فقد صرح قائلاً :" أنه لو لم تكن الحاجة ملحة لأعداد العرب إلى الخدمة الحكومية، ولم يخش سوء الظن من أن الإدارة البريطانية غير ميالة لتسهيل أمور التعليم، فأنه ميال إلى أن ينصح بعدم فتح أية مدرسة في السنين القادمة"( )، ومما لا شك فيه تُعد مرحلة الاختلال البريطاني التي بدأت في سنة 1914 وصولاً إلى سنة 1920 مرحلة قلقة من الناحيتين السياسية والعسكرية، ومن خلال هذه الفترة لم تأخذ الأوضاع الثقافية في العراق نصيباً وافياً من دعم الاحتلال البريطاني له، فالمستر دوبس لم يوعز الجهات المختصة إلا بفتح مدرسة واحدة أو مدرستين، كما أوعز بإعطاء المنح المالية إلى المدارس التبشيرية الأميريكية التي يديرها المستر جون فان آيس( )، وإلى مدرسة الأخوان الكرمليين، وترك فتح المدارس الأخرى إلى المستقبل( ).

بهذا الشكل أصبح الميل الطبيعي لسلطات الاحتلال البريطاني الاتجاه نحو الحد من شأن المعارف، واعتبار أهميتها شيئاً ثانوياً، عند العمل على إحياء الأوضاع الثقافية والفكرية للبلاد، ومع ذلك لم تفتح إلا مدرستان في نهاية عام 1915م.

ويرجع أهمال السلطات البريطانية للأوضاع الثقافية في العراق في بداية الأمر، إلى أن جهد السلطات البريطانية منصباً على تثبيت دعائم الوضع السياسي والعسكري، فأنعكس ذلك على المخصصات المالية للتعليم لتصل سنة 1917-1918 إلى 35% من مجموع مصروفات الدائرة الملكية، وبقى التعليم متعثراً، ولم يبدأ الاهتمام بالأوضاع الثقافية والفكرية بصورة جدية حتى تم تعيين المقدم بومان (Bowman) سنة 1918 مديراً للمعارف، فما أنتهت سنة 1918، حتى تأسست عشرون مدرسة ابتدائية( )

وبقيت مصروفات المعارف متدنية، ولم ترق إلى مستوى التقدم الثقافي والفكري حتى بلغت سنة 1919 بنسبة 1.8% من المصروفات الملكية العامة( )،أنظر الملحق رقم (1).

أثر التعليم في التطور الثقافي والفكري في العراق (1920-1932).
نظراً لحاجة سلطة الاحتلال البريطاني إلى موظفين، عملت على توفير أعداد مناسبة من المعلمين، لذا قامت إدارة المعارف كخطوة أولى بفتح دار المعلمين في بغداد عام 1918، وكانت أول دورة فيها مدتها ثلاثة أشهر، وصرفت سلطات الاحتلال

مخصصات شهرية قدرها ثلاثون روبية( ) لطلاب دار المعلمين، وذلك لتشجيع أهالي بغداد على الانخراط في سلك التعليم، بالإضافة إلى تطور الحياة الثقافية والفكرية في بغداد، وتخرج منه بلغ عددها تسعة وعشرون طالباً( ).

كما قررت سلطات الاحتلال فتح كلية حقوق بغداد في الحادي عشر من تموز 1919، من صفين وبلغ عدد طلابها بعد فتحها (45) طالباً، (25) طالباً في الصف الثاني، والبقية في الصف الأول، وكانت مدة الدراسة سنتان، وتخرج فيها أول دفعة في السادس عشر من تموز 1920( )، ولدراسة العلاقات الثقافية والتحولات الفكرية للعراق في تلك الفترة، لا بد من التطرق لما يلي:-

أولاً: تطور التعليم في العراق 1920-1932.
كان الوضع العلمي والثقافي في العراق هشاً، ففي فترات متقدمة من الوجود البشري على الأرض، كان للعراق دور الريادة فيه كبقعة أرض شهدت أولى التجمعات السكانية في العالم، ومع انتهاء الحكم العثماني كانت المدارس في العراق قليلة، وفيه الكتاتيب التي تُعرف بـ "الملة"، وهو النشاط الثقافي والفكري السائد في أغلب المدن العراقية، ومع وجود عدد قليل من المدرس لتعليم أبناء العراق، والمقتصرة فقط على أبناء الذوات منهم، وكان لكلية الحقوق في العراق التي تأسست سنة 1908 دور كبير، إذ خرجت من بين صفوفها العديد من الرموز القانونية التي كان لها شأنها فيما بعد( ).

وأعطى الملك فيصل الأول منذ عام 1921 اهتماماً كبيراً بالتعليم، وذلك لأن تقدم الأم ثقافياً وفكرياً يتوقف تماماً على مستوى التعليم بأنواعه، لذلك أولى الملك فيصل الأولاهتماماً كبيرً بنشر الثقافة والتعليم في العراق( ).
ففي عام 1922 أمر الملك فيصل الأولببناء جامعة آل البيت، وكانت أحدى الغايات الأساسية من انشاء هذه الجامعة هو تقارب وجهات النظر بين المذاهب الإسلامية، ووضع حد للخلافات المذهبية، والتي من شأنها أن تمزق وحدة البلاد، وقال الملك فيصل الأول بمناسبة وضع حجر الأساس للجامعة "كل عمل لا يُشيد على أساس متين مثل هذا الأساس لا تقوم له قائمة، وها أني أضع حجر الأساس في أول جامعة تُشاد في هذا البلد، وأمل أن تقدرها الأمة العزيزة حق قدرها، وتعني بتأسيس الجامعات الكثيرة، أمثال هذه، وأرقى منها لتسعيد مجدها التأريخي القديم وتتسنم غابر عزها الخالي في العلم والأدب والفن"( ).

مما سبق يتضح أن الملك فيصل الأول رغب في اختصار الزمن لدفع عجلة التطور الثقافي والفكري في العراق، لاقتناعه أن وحدة المجتمع وتطوراً تتطلب مواطناً ثقافياً واعياً لواجباته الوطنية.

وفي عام 1920-1921 بلغ عدد المدارس الإبتدائية للذكور والأناث في العراق 88 مدرسة، وعدد المعلمين والمعلمات (486)، وعدد التلاميذ ذكوراً وأناثاً (8001)، بينما ارتفعت النسبة في الأرقام عام (1922-1925) إلى (221) مدرسة، و(800) معلم ومعلمة، و (20645) تلميذ وتلميذة، وعند رحيل الملك فيصل الأول كان خلفية التعليم تشير إلى واقع (450) مدرسة، و (1808) معلم ومعلمة، و (54539) تلميذاً وتلميذة( ). أنظر الملحق رقم (2).

كما تقدم التعليم الثانوي في العراق في الفترة من (1921-1932) أنظر الملحق رقم (3) ، وفي سنة 1927 أفتتحت الكلية الطبية في بغداد، وتخرج منها أعداد كبيرة من الأطباء، وأوفد أكثرهم إلى بريطانيا لإختصاص، مثل الطبيب اليهودي كرجي ربيه وجاك عبود شابي ورؤوف داود، والبير حكيم والبير بصري وغيرهم( ).

ولم ينحصر تطوير التعليم على المرحلة الإبتدائية والثانوية بل أولت الحكومة العراقية اهتماماً كبيراً، بالعلاقات الثقافية والبعثات العلمية، حيث أوفدت الحكومة العراقية أول بعثة علمية للدراسة في الخارج على نفقتها الخاصة، وكان عدد أفرادها (9) طلاب( ).

أما بشأن تعليم الأقليات في العراق، فد تم افتتاح 25 مدرسة في المناطق الكردية، وكانت خمسة مدارس منها، خخصت للمسيحيين، واستخدمت تلك المدارس الخمس اللغة الكلدانية، وهي لغة يستخدمها المسيحيون فقط، إلى جانب اللغة العربية للتدريس، وأعداداً كبيرة من تلك الأقليات التي تخرجت من تلك المدارس أصبحوا مدرسين وتعينوا في المدارس العراقية( ).

وفي حقيقة الأمر فإن السعي إلى التطور الثقافي والحضاري في العراق كانت جذوره نامية قبل مجي الملك فيصل الأول، ففكرة التطور الثقافي قد نشأت على أيدي الرموز الثقافية والوطنية من رجالات العراق، والتي سعى إليها تجار ووجهاء بغداد، ومدن العراق الأخرى، وذلك بفضل التبرعات الأهلية لبناء المداري، والتي تمكنت من بناء ثلاث مدارس برعاية مادية مدعومة من قبل التجار العراقيين، من أمثال: التاجر جعفر أبو التمن، والشيخ يوسف السويدي، وعلي البارزكان، وسامي خونده، والسيد محمد الصدر، وحمدي بابان، وأحمد الداود، وغيرهم من رموز جمعية حرس الاستقلال، التي ناشدت بأستقلال العراقية من السيطرة البريطانية( ).

بناءً على ما سبق يتضح مدى حرص الملك فيصل الأول على جعل التعليم في العراق مهنة مرغوبة، فحسن الرواتب، وقام بدفع نفقات التعليم العالي داخل العراق وخارج العراق، إذ أرسل البعثات إلى مصر وبريطانيا والولايات المتحدة، وفي عام 1927 أخذت الحكومة العراقية على عاتقها دفع نفقات المعيشة والطعام والملابس، بالإضافة إلى توفير كتب الدراسة مجاناً، مما أدى إلى اجتذاب العديد من الشباب للدخول في مهنة التعليم، وفي عام 1931 وصل أعداد المتدربين من الذكور والإناث إلى 178 متدرباً( )، وقد كان للشباب من الدول العربية من خريجي الجامعة الأمريكية في بيروت، وبعض المدرسين الأوروبيين دوراً مهماً في تخرج كوادر من الشباب العراقي عالية الكفاءة( ). أنظر الملحق رقم (4).

وعلى الرغم من هذا التطور الثقافي والفكري في تلك الفترة إلا أنه كان بنسبة بسيطة جداً، لا تلبي الطموح، إذ أن التطور الثقافي والفكري يتطلب توفر مبالغ كبيرة، لذلك يرى الأستاذ جميل صليبا "إن من أولى المشكلات التي يجب التغلب عليها لنشر الثقافة وتطورها، هي المشكلة الاقتصادية والمالية( ). أنظر الملحق رقم (5)، (6).

مما سبق يتضح تضاعف أعداد المدارس في الفترة من 1920- 1932 إلى ما يقارب الأربعة مرات، بينما زاد أعداد التلاميذ بأكثر من 8 أضعاف، كما أدى تخصيص الدولة لمبالغ أكبر تدريجياً للتعليم إلى زيادة في أعداد المدارس الإبتدائية والثانوية وعدد التلاميذ فيها.

ثانياً: تطور التعليم النسوي في العراق 1920-1932.
مر التعليم النسوي في العراق بعدة مراحل، متأثراً بعاملي السياسة والدين، ففي حقبة الحكم العثماني لم تملك المرأة من وسائل التثقيف والتعليم شيئاً يُذكر، كونها كانت تعيش ظروفاً متخلفة فرضها عليها تخلف المجتمع نفسه، فلم تشهد هذه الحقبة سوى أعداداً قليلة من المدارس والكتاتيب التي أقتصرت على تعليم القراءة والكتابة( ).

ومع بداية سنوات الانتداب البريطاني على العراق، شهد عدة دعوات من السيدات المثقفات إلى حكومة الانتداب، والتي تدعو إلى فتح مدارس أخرى للأناث، ولكن هذه الدعوات قد شهدت تلكأ في استجابة الحكومة البريطانية، إلى أن قامت الست (زهرة خضر)، بتخطي كافة المعوقات والعقبات، وقامت بإفتتاح مدرستها عام 1918، وبلغ مجموع الطالبات فيها إلى (40) طالبة، وشملت الدراسة فيها القرآن الكريم، والفروض الدينية، ومبادئ القراءة والحساب، وبعض الفنون المنزلية( ).

وقد استمرت الست زهرة بالعمل في هذه المدرسة حتى عام 1920، عندما قامت (المس كروتيدبيل) بفتح مدرسة للأناث في 25 كانون الثاني 1920، والتي عُرفت بإسم (مدرسة الأناث الرسمية)، لذلك طلبت نظارة المعارف من الست زهرة بغلق مدرستها، وأنضمت لكادر المدرسة التدريسي الذي تكون من الست أرسيال حاتم نائبة المديرة، والمعلمات زهرة خضر، ونظيرة خانم، وصبرية خانم، وهلن سعدي خانم، وشلن سعدي خانم، وأفتخار خانم، وسادبلت خانم، وجميلة خانم، وقد نجحت هذه المدرسة في تدريس مواد اللغة العربية والإنكليزية، والحساب، والتاريخ، والجغرافية، والتدبير المنزلي، وعلم حفظ الصحة، والرياضة، وعلوم القرآن، وقد تمكنت هذه المدرسة من تحقيق أهدافها بفضل معلمات المدرسة، الأمر الذي شجع حكومة الانتداب في الاستمرار في فتح مدارس للأناث في ألوية العراق الأخرى، ففي عام 1920 تأسست مدرسة مماثلة في لواء الموصل، وثانية في لواء الديوانية، وثالثة في بغداد في جانب الكرخ( ).

كما شهد تعليم الأناث في فترة الانتداب البريطاني تطوراً آخر إذ سفر عدد من الفتيات إلى خارج العراق، لإكمال تعليمهن العالي، وهنا تسجل السيدة (مديحة صالح زكي)، كأول عراقية رائدة، تسافر إلى خارج البلاد على نفقتها الخاصة، ففي عام 1926 سافرت إلى فرنسا لدراسة طب الأسنان، كما شهد عام 1926 تحولاً آخر تمثل في سفر أول بعثة حكومية تضم سيدتان هما الرسامة السيدة (مديحة ياسين عمر) والسيد (مارتا عساف) ( ).

تأسيس المكتبات العلمية والثقافية في العراق.
بدأت حركة تأسيس المكتبات في العراق عام 1920، وهي كالآتي:-

1-مكتبة السلام: تم تأسيسها على أيدي جماعة من المثقفين العراقيين والبريطانيين في عام 1920، وتولى الأب انستاس ماري الكرملي( )، الإشراف على إداراتها، وفي عام 1928 عُرفت بالمكتبة العامة، ثم قامت وزارة المعارف في عام 1929 بإدارتها بصفة رسمية( )، وتم نقلها إلى بناية مكتبة الأوقاف التي تم تأسيسها عام 1939، وبقيت فيها حتى عام 1956( ).

2-مكتبة الأوقاف العامة: تم جمع الكتب والمخطوطات من المساجد والتكايا في بغداد، ثم أُسست تلك المكتبة في 1928، ونظمها المحامي عباس العزاوي، وتولى الدكتور محمد اسعد طلس فهرست مخطوطاتها التي بلغت (3614) مخطوطة( ).

3- مكتبات بيع الكتب: انتشرت مكتبات بيع الكتب في العراق، وتخصص بعضها بنوع معين من الكتب، وبعضها الآخر تنوعت فيه الكتب من تاريخية وأدبية ودينية وعلمية( )، فضلاً عن النوادر والمخطوطات والقرطاسية، الأمر الذي جعل سوق السراي منتدى ثقافي يتم فيه عقد الندوات الثقافية، ويوجد فيه المثقفون والمفكرون والأدباء للحصول على نوادر الكتب( ).

ونظراً لاهتمام العراقيين بالقراءة واقتناء الكتب، ظهرت مكتبات بيع الكتب ومن أهمها: المكتبة العصرية لصاحبها محمود حلمي، ومعظم كتبها كانت تستورد من مصر، وتُعقد فيها الندوات الثقافية والأدبية ، وتحضرها عدد من المثقفين آنذاك، ومن المكتبات الأخرى المكتبة الأهلية والتي أسسها عبد الأمير الحيدري عام 1922، ومكتبة مكنزي عام 1925 والتي كانت تمتلكها شركة بريطانية عراقية، وقد اشتهرت ببيع الكتب الجامعية العلمية المطبوعة باللغة الانجليزية، في اختصاصات الطب والهندسة ويتم استيرادها من بريطانيا، بالإضافة إلى مكتبة الطلبة والتي أسسها سعيد حافظ في عام 1927، ومكتبة الشبيبة لصاحبها رشيد عبد الجيل، وتم تأسيسها عام 1930( ).

4-المكتبات الخاصة: تم تأسيس عدد من المكتبات الخاصة في العراق بجهود المثقفين والمفكرين فيها، ومن أشهرها مكتبة الأب انستاس ماري الكرملي، التي ضمت أمهات المصادر الأصلية العربية القديمة في اللغة والأدب والتاريخ، حتى بلغ عدد الكتب فيها حوالي عشرين ألف مجلد، كان بعضها يُعد النسخة الوحيدة النادرة( )، وتم نقل تلك المكتبة إلى مكتبة المتحف العراقي، وقسم منها إلى متحف الموصل( ).

ومن المكتبات الخاصة أيضاً مكتبة المحامي عباس العزاوي التي احتوت على مخطوطات نادرة، ومصادر جيدة باللغة العربية والتركية والفارسية، ووصل عددها إلى (25) ألف كتاب مطبوع، وما يزيد على ثلاثة آلاف وثلثمائة مخطوط، ومنها أيضاً مكتبة السيد عبد الرازق الحسني التي احتوت على (3000) مجلد مطبوع في تأريخ العراق والوطن العربي وفلسفة الأديان، فضلاً عن الكتب النادرة والمذكرات التي تتوافر عند غيره، ومن المكتبات الخاصة التي عُرفت بكثرة كتبها ومخطوطاتها الغنية مكنية المؤرخ يعقوب نعوم سركيس( )، والتي احتوت على (5000) مخطوط، ومكتبة كوركيس عواد والتي ضمت حوال (9000) مجلد بينها (524) مخطوطاً، وكانت فيها أمهات المصادر في التاريخ واللغة والشعر والأدب والدين ومكتبة الصفحي رفائيل بطي( )، والتي ضمت كتب متنوعة عن تأريخ العراق السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بلغ مجموعها أكثر من (3000) مجلد، ومكتبة المحامي حسين جميل والتي ضمت (7500) مجلداً بالعربية والانكليزية في مختلف شؤون العراق في الموضوعات القانونية والدينية والتاريخية، والقضايا المتعلقة بشؤون الأحزاب السياسية، ومكتبة الدكتور حسين علي محفوظ في الكاظمية التي ضمت أكثر من (5000) مجلد بينها (350) مخطوط في التاريخ واللغة والأدب والأديان والفلسفة باللغتين العربية والفارسية( ).

تطور الصحافة.
أما بالنسبة للحركة الثقافية والفكرية في العراق في فترة الانتداب البريطاني، فقد اتصفت بطابعها التجدي غير الثابت في الصحافة، فقد صدرت العديد من الصحف والمجلات والدوريات السنوية، ففي سنة 1922، صدرت جريدة المفيد للصحفي إبراهيم حلمي، وجريدة الحكومة العراقية، والتوحيد، ومجلة الزنبقة والتلميذ العراقي والوقائع العراقية وغيرها، وفي سنة 1923 صدرت جريدة بابل والبدائع وشط العرب والخزانة وليلي والمجلات الحقوقية( ).

وفي سنة 1924 صدرت مجلة الاصلاح والمعلمين، والكشاف العراقي، وجرائد الحضارة واليقظة، والشعب والعالم العربي وغيرها، وفي سنة 1925 صدرت جرائد السياسة والعالم المصور، ومجلة ديار كردستان، والمحامي وغيرها، وأخذت الصحف والمجلات تصدر بشكل متوالي ومتغير حتى عام 1933( ).

المجالس العلمية والثقافية والأدبية.
عرفت العراق في فترة الاحتلال البريطاني المجالس العلمية والثقافية والأدبية بعد عام 1921، إذ اهتم كبار العلماء والأدباء والصحفيين والشعراء في العراق بتلك المجالس، بهدف المذاكرة والمناظرة في العلوم والآداب، وكان يعقدونها في بيوتهم، أو في المساجد، أو المقاهي، وكان يحضرها عامة الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، ومستوياتهم الثقافية، وكانت تلك

الأثر الثقافي للاحتلال البريطاني على المجتمع العراقي (1917–1932): دراسة للعلاقات الثقافية والتحولات الفكرية.

م.د. تساهيل باقر كامل جبر

المجالس من حيث عددهم ونشاطهم في المجالات العلمية والثقافية والأدبية العامة، ولكل مجلس سمات ومميزات تتعلق باستمرار انعقاده ونظامه حسن ترتيبه، ويرتبط هذا بالمنزلة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للشخص القائم على استمراره، بالإضافة إلى ثقافة رواده، إذ كان للمجالس العلمية والثقافية والأدبية في العراق أثر فعال ومؤثر في أوساط المجتمع العراقي، إذ تقضي فيها النخبة المثقفة بعض أوقاتها في مسامرات أدبية وعلمية، ويمكن القول أن تنوع الموضوعات التي عالجتها تلك المجالس بجانب تركيزها على قضايا المجتمع الأساس الذي ساعد على تخريجها لكثير من الأدباء والخطباء والشعراء( ).

واستمرت المجالس العلمية والثقافية والأدبية التي أسسها الأدباء والمفكرون، وتولى إداراتها من بعدهم الأبناء والأحفاد، ومن تلك المجالس مجلس السيد ناصر الدين الكيلاني الذي كان يعقده في الحضرة الكيلانية، ثم نقله إلى داره في باب الشيخ، ويحضره العلماء والأدباء والشعراء وأصحاب الحرف والملاكون، وكان هدفها البحث في القضايا الدينية والاجتماعية، كما كان لأسرة السويدي مجلسهم العامر برئاسة ناجي السويدي في محلة خضر الياس، وكان مجلسه يُعد مكسباً لمن يحضره( ).

الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية.

بعد إصدار قانون تأليف الجمعيات المعدل رقم (27) في عام 1922، تأسست في مدينة بغداد جميعات ونوادِ عدة قامت بأدوار اجتماعية متنوعة في المجالات الخيرية والثقافية والدينية( )، كان من أهمها:-

1-جمعية الميتم الإسلامي: أُسست في عام 1921، للإهتمام بالأيتام المسلمين وبتعليمهم، تحت رئاسة حسن رضا، وكان من أبرز مؤسسيها عبد الحميد بابان، وعبد الرازق منير، وسليمان فيضي، وقد لاقت تلك الجمعية اهتماماً كبيراً من المؤسسات الإنسانية والخيرية، وقد استمرت في أداء عملها حتى نهاية العهد الملكي في عام 1958م( ).

2-نادي الشبان المسيحيين: تأسس عام 1925 في شارع السعودون، تحت إدارة شخص بريطاني اسمه (واتسن)، وكان لا يمنح عضويته لغير المسيحيين، واستمر حتى منتصف الخمسينيات( ).

3-جمعية حماية الأطفال: تأسست جمعية حماية الأطفال في العراق في 20 آذار 1928، ومن أهدافها العمل على إنقاص معدل الوفيات بين الأطفال، وتقديم الخدمات الاجتماعية والعلاجية لتنمية الأطفال وتعليمهم، وتقديم المساعدات للعائلات الفقيرة ، والعلاجات المجانية، وتقديم الخدمات العلاجية للأمهات والحوامل في مجال التوليد، ورعاية الأم الحامل، والطفل مجاناً( )، وكان لها تسعة عشر فرعاً موزعة على كافة أنحاء العراق، وأغلب تلك الفروع لها مستوصفات خاصة بها( ).

4-جمعية الهلال الأحمر: تم تأسيسها في 29 شباط 1932، ومن أهدافها اسعاف جرحى الحرب، ومساعدة المنكوبين الذين يصابون بحوادث فجائية في أوقات السلم، وخصصت (4) دنانير للمتبرعين بالدعم للمرضي، وأرسلت بعضهم إلى المصحات اللبنانية على حسابها الخاص، واهتمت بـأكساء الأطفال، وفتح دورات لتعليم مبادئ الإسعافات الأولية، ولم تتوان في تقديم مساعدتها للمؤسسات الخيرية( ).

5-التجمعات النسائية: عملت المرأة على تأسيس نوادِ خاصة بها في العراق، منه نادي النهضة النسوية الذي أُسس عام 1924، وقد أعلنت مؤسسات ذلك النادي "أن الغاية المقدسة التي ترمي إليها النهضة النسوية العراقية، هي إرشاد النساء والفتيات إلى الشعور بهويتهن الحقيقية، ومعرفة مركزهن السامي، والاندفاع إلى التنور والتهذيب لإصلاح أحوالهن الأدبية والاجتماعية، وإن النادي النسائي هو المعول عليه لتعزيز تلك الغاية والتوسل بجميع الوسائل الممكنة لبلوغها"( ).

كما تم تأسيس مجموعة من النقابات والنوادي ذات الطابع الثقافي والاجتماعي، ومن أبرزها نقابة المحامين ولها فرعان، أحدهما في الموصل، والآخر في البصرة، بالإضافة إلى نادِ للمعلمين، كما تم تشكيل (الجمعية الطبية العراقية)، وكان للصيادلة جمعية أيضاً، وفي عام 1924 تم تأسيس أول جمعية رياضية عُرفت بإسم (جمعية اتحاد كرة القدم)، وفي عام 1928 قدم بعض العمال طلباً إلى وزارة الداخلية للسماح لهم بتأسيس جمعية باسم (جمعية العمال)، وقد تبعهم الحلاقون في ذلك وأسسوا (جمعية تعاون الحلاقين) في شباط 1929، كما تأسست جمعية الصنايع التي كان لها دور هام في حياة العمال العراقيين، حيث ضمت عدة لجان لعمال النسيج، وعمال البناء، والتجارة، وأصححاب المعامل الصغيرة( ).

يتضح لنا مما سبق أن الجمعيات والنوادِ في العراق اهتمت بمسألة مكافحة الأمية، كما فتحت دورات خاصة لهذا الغرض، كما قامت تلك الجمعيات بتقديم المساعدات المالية لعدد من أعضائها، فضلاً عن معالجة العمال طبياً مجاناً، كما تم الاتفاق مع عدد من المحامين لتعقيب دعاوي الفقراء منه بدون مقابل، كما أولت اهتماماً كبيراً بالعمال العاطلين عن العمل، وقدمت لها المساعدات النقدية، فضلاً عن مساعدتهم على إيجاد العمل لعدد منهم.

التطور الصحي.
انتشر الجهل بين غالبية سكان العراق أثناء العهد العثماني، وكانوا على اعتقاد راسخ بأن الأمراض تأتي بإرادة ربانية عليا، وهي أيضاً تشفى بنفس الإراد، هذا إذا شُفيت، وعند حدوث وفاة بسبب المرض فرحمة الله على المتوفي وإنا لله وإنا إليه راجعون، وكان الناس يلجأون إلى المشعوذين طلباً لشفاء المرض، وكان الطب الحديث يكاد يكون معدوماً( ).

وعندما دخل الجيش البريطاني بغداد عام 1917، أنشأت الإدارة العسكرية قسماً للصحة المدنية، وتولى إدارتها الطبيب العسكري الكولونيل العقيد باتي (Colonel Batty)، الذي وضع الخطوط الرئيسية للنظام الصحي في العراق، وهو أول من وضع ميزانية للصحة والتي بلغت ما يُعادل (20000) دينار عراقي في السنين الأولى من الإدارة الصحة، وكان يساعده الطبيب الشاب الكابتن النقيب هاري سندرسن (Captain Harry C. Sinderson)، الذي أصبح لاحقاً أول عميد للكلية الطبية الملكية( ).
والأمر الذي أدى بقوات الاحتلال البريطاني إلى الاهتمام بالجانب الصحي في العراق، خوفاً من إصابة أفراد الجيش بالأمراض المنتشرة، وخاصةً بعد أن أودى مرض الكوليرا بحياة قائد الحملة البريطانية الجنرال مود، بالإضافة إلى الحد من انتقال الأمراض من أفراد الجيش بالدرجة الأولى( ).

وفي عام 1921 قام مدير المصلحة الصحية العامة الكولونيل لين (Colonel Laine) بإصدار تقرير صحي إلى عصبة الأمم عن حال العراق صحياً( )، والذي وأضح فيه مدى تخلف العراق صحياً، وانتشار الأمراض الفتاكة، نظراً لإنتشار الأمية والجهل في المجتمع العراقي، إذ كان التعليم محدوداً نتيجة لقلة المدارس، فضلاً عن محدودية الوعي الصحي للمرأة العراقية مما انعكس سلباً على تربية أطفالها، لذلك شهد العراق نسبة عالية من وفيات الأطفال، نظراً لاعتماد الأمهات على البدع والخرافات في معالجتها لأطفالها نظراً لقلة ثقافتها وتعليمها، فالصلة وثيقة بين المستوى الثقافي والوعي الصحي( ).

وفي أيلول 1921 تم إنشاء وزارة الصحة، وعُين الدكتور حنا خياط وزيراً لها، يم أُلحقت بوزارة الداخلية، وبعد ذلك تأسست في بغداد جمعية طبية عُرفت بالجمعية الطبية البغدادية قام بإدارتها أطباء من الجيش البريطاني، ثم انضم إليها الأطباء العراقيون العائدون من الخارج، وبعد نحو عشرة أشهر عقدت الجمعية المذكورة اجتماعاً في مستشفى العزل القديم ببغداد بحضور عدد كبير من الأطباء، وألقى الميجر الرائد هيجز (Major Hegas) كلمة أكد فيها على أهمية تأسيس مدرسة لدراسة الطب، وقد أثارت الكلمة نقاشاً بين مؤيدي الفكرة من أمثال الأطباء: سامي شوكت، وأمين المعلوف، وهاشم الوتري، والأطباء المعارضين لفتح كلية لدراسة الطب، الدكتور فائق شاكر الذي كان يرى أن إرسال الشباب لدراسة الطب في الخارج أفضل( ).

وكان الرأي السائد مؤيداً لفتح كلية لدراسة الطب، وكان الملك فيصل الأول مؤيداً لها أيضاً، وفي تشرين الأول 1927، واستقبلت الدفعة الأولى من تلاميذها، وكان عددهم عشرين طالباً أكملوا الدراسة بعد خمس سنوات، وتخرجوا في نهاية ربيع عام 1932( ).
وخلال عام 1921-1930 أنشأت الحكومة العراقية 28 مستشفاً و91 مستوصفاً في كافة أنحاء العراق، لمعالجة المرضى، وبحلول عام 1930 ونتيجة للإهتمام بالتعليم والتطور الثقافي في العراق، وإنشاء المؤسسات الطبية العديدة، أخذ الشعب العراقي يلجأ إلى الطب الحديث. أنظر الملحق رقم (7).

مما سبق يتضح أن قوات الاحتلال البريطاني والحكومة العراقية سعت لتطوير الأوضاع الصحية في العراق، وتقديم الخدمات الصحية للجميع، كما عملت على تنظيم الإدارة الصحية، وإصدار التعليمات والبيانات التثقيفية للقضاء على الجهل الذين كان يسيطر على الأوضاع الصحية للناس، لذلك كان له الأثر الكبير في القضاء على الكثير من الأمراض والتطور الثقافي للشعب العراقي.

الخاتمة.

1. نظرت حكومة الاحتلال البريطاني إلى العراق نظرة غازية لاستغلال أرضه وشعبه، فللعراق موقع جغرافي هام، وأهمية اقتصادية عالية المتمثلة في عيون النفط والمنتوجات الزراعية الهائلة، فضلاً عن كون العراق منطقة عبور استراتيجية نحو بلدان العالم العربي.

2. على الرغم من اهتمام الملك فيصل الأول بالعلم والعلماء وتقريبه للأدباء والشعراء، إلا إن مرحلة حكمه لا تخلو من حالة القلق، وعدم الاستقرار لدولة ناشئة مثل العراق الذي تخلص من مرحلة الاستبداد والتعسف العثماني، ليدخل مرحلة الاحتلال البريطاني الذي كبل الدولة العراقية قيوداً سياسية أبرمت على شكل معاهدات سياسية وعسكرية ومالية، دامت أثنا

عشر عاماً لم يتخلص منها العراق، على الرغم من دخوله هيئة عصبة الأمم عام 1932، لُيشار له بالاستقلال من قبل المجتمع الدولي.

3. على الرغم من اهتمام الملك فيصل الأول بالعلاقات الثقافية والفكرية في العراق، وإرسال البعثات العلمية، ولكن ذلك لم يؤدي إلى تطور الأوضاع الثقافية والفكرية في العراق بصورة كبيرة، لأن ارسال البعثات العلمية يتطلب ثقافات أساسية تمكن الطالب من الإحاطة بالموضوعات الجامعية التي يُرسل إليها، كما ينبغي أن يُلم إلماماً كافياً بلغة أجنبية، أو بلغة تلك الجامعة التي يُرسل إليها.

4. برزت عدد من الميعقات التي وقفت في طريق التطور الثقافي والفكري في العراق، من أهمها التعليم، منها قلة التخصيصات المالية، والنقص الواضح في مناهج التعليم، فضلاً عن التركيز على الدراسة النظرية على حساب الدراسة العملية، وتشتيت الجهود التي يخلفها إصرار عدد من المسؤولين على التوسع في الدراسة العالية، في حين أن حاجة البلاد تستدعي الاهتمام الأكبر بالتعليم الابتدائي والثانوي.

5. عمت بغداد مجموعة من المجالس العلمية والثقافية والأدبية التي اهتمت بها النخبة المثقفة، وخاصةً كبار الصحفيين والعلماء والأدباء والشعراء بهدف المناظرة في العلوم والآداب، يعقدونها في بيوتهم أو في المساجد، إذ كان لتلك المجالس العلمية والثقافية والأدبية صدى كبير في أوساط المجتمع العراقي عامة، إذ تقضي فيها النخبة المثقفة والمفكرة بعض أوقاتها في مسامرات علمية وثقافية وأدبية.

6. أهتمت الحكومة العراقية بالجانب الصحي في العراق، بإعتباره ركيزة هامة من ركائز التطور الثقافي والفكري في العراقي، وذلك بالقضاء على ما خلفه الجهل من شعوذه وخرافات سادت المجتمع العراقي، من هنا جاء الاهتمام بإنشاء وبناء المستشفيات والنوادي الثقافية من أجل تطوير ثقافة المجتمع العراقي.

الملاحق.

جدول رقم (1) يوضح ميزانية المعارف مقارنتاً بالميزانية العامة للفترة 1915-1920 (آيرلاند، 1949، صفحة 89).

السنة المالية	الميزانية العامة بـ(روبية)	حصة المعارف بـ(روبية)
1916 – 1915	1,622,344	6,500
1917 – 1916	3,163,200	23,530
1918 – 1917	10,028,286	35,500
1919 – 1918	16,649,720	180,000
1920-1919	46,198,008	886,808
1921 – 1920	5,556,574 دينار	2,070,000

الملحق رقم (2)التعليم الابتدائي في العراق بين 1930-1930 (زكي، 2011، صفحة 66).

ت	السنة الدراسية	عدد المدارس الإبتدائية	عدد التلاميذ
1	1921-1920	84	6743
2	1922-1921	151	15275
3	1923-1922	173	17235
4	1924-1923	198	18558
5	1925-1924	221	20654
6	1926-1925	228	22712
7	1927-1926	249	24170

8	1928-1927	264	26706
9	1929-1928	271	28103
10	1930-1929	291	20888

الملحق رقم (3) التعليم الثانوي في العراق بين 1920-1930م (زكي، 2011، صفحة 67).

ت	السنة الدراسية	عدد المدارس الإبتدائية	عدد التلاميذ
1	1921-1920	صفر	صفر
2	1922-1921	صفر	صفر
3	1923-1922	4	-
4	1924-1923	4	233
5	1925-1924	4	326
6	1926-1925	5	583
7	1927-1926	8	729
8	1928-1927	11	1086
9	1929-1928	13	1222
10	1930-1929	13	1322

الملحق رقم (4) جدول احصائي لطلبة البعثات العراقية خارج العراق من سنة 1921-1932 (أبو دله، د.ت، صفحة 304).

ت	السنة الدراسية	لبنان	مصر	انكلترا	أمريكا	فرنسا	السويد	تركيا	ألمانيا	المجموع
1	1922-1921	5	3	1	-	-	-	-	-	9
2	1923-1922	-	-	-	-	-	-	-	-	-
3	1924-1923	8	-	-	-	-	-	-	-	8
4	1925-1924	1	-	3	-	-	-	-	-	4
5	1926-1925	9	-	12	5	-	-	-	-	26
6	1927-1926	9	-	9	4	-	-	-	-	22
7	1928-1927	13	-	8	3	-	-	-	-	24
8	1929-1928	13	5	14	3	-	-	-	-	35
9	1930-1929	10	14	5	1	1	1	-	-	32
10	1931-1930	26	4	7	4	-	-	-	-	41
11	1932-1931	8	3	9	5	3	-	2	2	32

الملحق رقم (5): النسبة المئوية من خزينة الدولة المخصصة للتعليم في العراق بين 1920-1930 (زكي، 2011، صفحة 65).

السنة	المبلغ المصروف	النسبة المئوية
1921-1920	130360	2.3
1925-1924	170068	3.9
1927-1926	184163	4.4
1928-1927	205650	5.0
1929-1928	232878	5.3
1920-1929	270438	6.1

الملحق رقم (6) يوضح ضالة المبالغ المخصصة للتعليم بالنسبة للميزانية العامة للمدة 1921-1932 (الجبوري، العارضي، د.ت، صفحة 118).

السنة المالية	ميزانية الدولة	ميزانية المعارف	نسبة ميزانية المعارف إلى الميزانية الدولة
1921 - 1922	4,436,065	124,425	2,8

1922 – 1923	4,080,172	146,543	3,6
1923 - 1924	3,662,568	131,158	3,6
1924 – 1925	4,316,928	170,068	3,9
1925 – 1926	4,004,049	171,532	4,2
1926 – 1927	4,122,196	184,163	4,4
1927 – 1928	4,280,068	201,565	4,7
1928 – 1929	4,314,701	202,878	4,7
1929 – 1930	4,360,656	270,438	6,2
1930- 1931	3,994,337	294,262	7,3
1931 – 1932	3,567,898	293,304	8,2

الملحق (7) جدول يوضح تقدم الخدمات الطبية في العراق من 1921-1930 (زكي، 2011، صفحة 73).

السنة	عدد المرضى الذين راجعوا المستوصفات
1921	714462
1922	575635
1923	886294
1924	1071886
1925	1289604
1926	1604900
1927	1639866
1929	2590262
1930	3099934

الهوامش.